تأليف: عبدالله حسن الفارسي

www.alkottob.com

الفصل الاول:-

كان يوسف يمشي في الشارع وحيداً بعد أن هرب من منزله الممل... فتوجه إلى الحديقة العامة ليبحث عن فتاة ليغازلها ويضايقها قليلاً... وكان يوسف قصير القامة وجسده ممتلئ يرتدي الكندورة والغترة... ولم يكن جذاباً... فرأى في الحديقة عائلة صغيرة تجلس على العشب الأخضر الجميل وكانت عبارة عن أب وأم وأبنتهم التي بدت بنفس عمره تقريباً... وكان يوسف يبلغ من العمر ١٨ عاماً وله لحية وشارب خفيفين... وعيون عسلية لامعة... انتجهت عيناه إلى الفتاة ولكن والداها بقربها مما جعل صعباً عليه ليضايقها... وفي النهاية يهرب منها...

قالت الفتاة: [أبي أريد الذهاب إلى الحمام]

الأب: [دعي والدتك تذهب معك]

الأم: [لا داعي... تستطيع الذهاب وحدها]

نهضت آمنة ورتبت عبائتها واتجهت إلى الحمام... وسمع يوسف حوارهم فأقتنص الفرصة... واتجه إلى حمام النساء... وانتظرها حتى تخرج... وعندما خرجت...

يوسف: [يا إلهي من هذه الحسناء؟!]

نظرت إليه آمنة وقالت: [هل توجه كلامك إلي؟!]

عندما ألتقت عيناهما... شعر يوسف بقرصة في قلبه وبحر من الحنان ينهمر عليه، كانت هذه أول مرة يراها فيها... لقد كانت فاتنة وجميلة جداً، رغم أنها لم تكن متبرجة ولم تنمص حواجبها كما تفعلن الأخريات، لقد بدت محترمة جداً.

آمنة: [هل توجه كلامك إلي أيها الفتى؟!]

يوسف: [نعم... أنتي حقاً حسناء]

آمنة: [يالك من أحمق وقليل الأدب، هل ترضى لأختك؟!]

يوسف: [بالتأكيد لا أيتها الحسناء]

آمنة: [أنا مثل أختك... لماذا تقول لي ذلك؟!]

أصبح لون خدي يوسف باللون الزهري وقال: [من أنتي؟]

غضبت آمنة منه وقالت وهي ترحل: [يالك من وقح]

يوسف: [مهلاً، أنا آسف يا آنسة... ولكني...]

توقفت آمنة وقالت: [ولكنك ماذا؟]

www.alkottob.com

تغيرت نظراته إلى ألم وحزن: [لا أريد مفارقة وجهك.... أنتي فاتنة]
نظرت إليه باستغراب وسألته: [هل أنت مجنون؟!]
يوسف: [نعم.... مجنون من هذه اللحظة]
ضحكت آمنة وكانت ضحكتها بالنسبة له ضحكة ساحرة.
ابتسم يوسف وقال: [من أين أنتي يا آنسة؟]
آمنة: [من الهند... هل تصدق]
يوسف: [نعم أصدق... أصدق أية كلمة ستقولينها]
آمنة: [يالك من جريء!! كيف لك أن تقف مع فتاة غريبة وتغازلها؟!]
يوسف: [سأكون كاذباً إن أخبرتكِ أنها المرة الأولى]
آمنة: [تبدو خبيراً في التصرف مع الفتيات يا....]
[يوسف... أدعى يوسف]
[يوسف.... أسم جميل... أعذرني يا يوسف... علي العودة إلى والدي]
[لا أرجوكي... أريد التحدث معكِ أكثر]
[يبدو أنك تماديت... إن لم ترحل الآن سأنادي والدي ليتصرف معك]
نظر إليها وهي ترحل، فأخرجت من حقيبتها عدة محارم بيضاء ناعمة ومسحت بها وجهها الجميل، فرمته على الأرض... فأسرع يوسف وألتقطها من الأرض... فأصبح كل ليلة يشمها ويحتضنها على صدره قبل أن ينام... وكثيرا ما يذرف دموعه كلما تذكر وجهها وهو يأمل أن يراها مرة أخرى...

لم تكن والدة يوسف سعيدة بحال ولدها يوسف الذي يحلم أن يرى وجه آمنة مرةً أخرى... يجلس في السرير وهو ينظر إلى السقف بحزن شديد... فأقتربت منه وجلست على السرير...
قالت: [ما الأمر؟ لما كل هذا الحزن؟]
[إنها هي... هي...]
[من هي؟ تكلم يا بني]
[لقد خطفت أحاسيسي وقلبي الضعيف]
[من هذه؟]
[لا أعلم... لم تقل عن أسمها]
[هل تحبها؟]
[أكثر من نفسي... أحبها أكثر من قطرات المطر]

www.alkottob.com

قالت في نفسها وهي تنظر إليه بحزن وألم: [يا إلهي... لقد جن عقله]
ثم قالت له: [بني، أنت على هذه الحالة منذ خمسة أيام... لا تأكل سوى القليل... حتى أنك أصبحت نحيلاً... لماذا تعذب نفسك وتعذب قلبك... انسى أمر تلك الفتاة]
[لا يمكن... أنتي تطلبين مني نسيان روحي وعمري وقلبي...]
[أنت واهم لا أكثر... أنت لم تذهب إلى الكلية حتى... أنت تعلم أنهم سيطردونك]
[فليطردوني إذن...]
خرجت أمه متذمرة ومتألمه من أجله...

ذهبت إلى والده، وقالت له: [إن ابننا ليس على ما يرام يا عزيزي... إنه واقع في حب فتاة لا نعرفها]
[ماذا تريدينني أن أفعل له؟!]
[لدي أقتراح... لنزوجه بها]
[ولكننا لا نعرف أي شي عنها فكيف نتقدم لخطبتها؟!]

وبعد أيام قليلة... كان يوسف يتمشى على شاطئ البحر في حزن وهو يمسك المحارم البيضاء بين أصابعة، تارة يشمها، وتارة يحتضنها بقوة... وكأنها عزاءه الوحيد...

><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل الثاني:-

يقول يوسف لنفسه: [لم تكن حياتي هكذا؟! فماذا حدث لي؟! ربما تكون تلك الفتاة مشعوذة... أو ساحرة تلعب بقلبي... تجره إلى اليمين وإلى اليسار... علي أن أتغير وأرجع إلى حياتي القديمة... بأي طريقة]
لقد كان يجلس على الشاطئ وهو يبكي... ينزف الماء من جروح قلبه، ومأساة حياته... وكان أصدقاءه سعد وحمد ينظران إليه بتعجب...
حمد: [لا بد لنا من مساعدته... لا يمكننا جعله يتعذب أكثر من ذلك]
سعد: [ليت الأمور تعود كما كانت... نغازل الفتيات ونذهب إلى المراقص...]
حمد: [أسمع لدي فكرة...]
[ما هي يا حمد؟]
[اليوم هو أول أفتتاح للقرية العالمية في دبي... ما رأيك أن نأخذه إلى هناك؟]
[وماذا سنفعل هناك؟]
[أسمع... سنجعله ينساها بأي طريقة... أرى بأن هناك هو المكان الأمثل]
[كما تشاء... أرجوا أن ترجع الأمور كما كانت]
اتجه الصديقان إلى يوسف الذي كان ينظر إلى البحر على أنه دواءه الشافي... ثم دعاه الصديقان إلى القرية العالمية اليوم...
يوسف: [سأذهب... أجل سأذهب معكم]
سعِد سعد وحمد وقال حمد: [لا تقلق كل شيء على حسابنا... فلا تهتم]
قال يوسف بتفاؤل: [إذن... عليك أن تتحمل ثمن كل حاجياتي]
سعد: [لا تقلق... هيا ننطلق إلى هناك بسرعة]
رجعوا البيت جميعاً وتجهزوا للرحلة وغادروا بسيارة سعد "فيتارا"... وفي الطريق اتصل أحد ما إلى حمد... ابتسم وهو يقول: [أهلا أهلا]
سعد: [هل اتصلت تلك الخادمة؟!]
حمد: [أجل... إنها تحب...]
اوقف سعد سيارته فجأة... ونزل هو وحمد وقال ليوسف الذي تعجب منهم: [سأتحدث معه قليلاً]
بعد ان ابتعدا قال حمد: [ما بك؟!]
سعد: [علينا أن لا نتحدث عن الحب أبداً... أقفل هاتفك طوال الطريق]
[لماذا يا سعد؟!]

www.alkottob.com

[هل أنت أحمق؟! سوف تحرك مشاعره تجاه تلك الفتاة... ونحن نريد أن ينساها]
[معك حق... علينا أقفال هاتفينا إذن....]
[أجل...]
رجعا إلى السيارة ليجدا يوسف غارق في تفكيره وهو ينظر خلاص زجاج نافذة السيارة... ولقد بدا الشوق والحزن يداعبان عينيه الدامعتين...
سأل حمد: [ما بك يا يوسف؟]
[عقلي غير قادر على نسيانها يا حمد... ماذا بوسعي أن أفعله؟]
أخرج من جيبه المحارم البيضاء، فبدأ يشمها ويستنشق رائحتها كأنها عطر لا نهائي...

وبعد غضون ساعة ونصف وصلوا إلى القرية العالمية... وأخذوا يلعبون ويتسوقون حتى نسي يوسف أمر آمنة... واتجه مباشرة إلى لعبة "عقارب الساعة" وهو يجر صديقيه معه...
حمد: [ولكني أخاف ركوب تلك اللعبة]
سعد: [سوف تركب معنا... شئت أم أبيت]
يوسف بحماسة: [سأذهب لأشتري التذاكر فالحال]
وفي أثناء ذهابه، قال حمد: [لقد نسيها...]
سعد: [هذا هو المطلوب... لقد نسيها أخيراً]
ولكن فرحتهما لم تكتمل... إذ حدث شيء لم يكن في الحسبان... عندما وصل يوسف إلى بائع التذاكر وصلت هي أيضاً هناك، وقالت بصوتها الانثوي الناعم الرقيق: [تذكرتان لو سمحت... للعبة عقارب الساعة]
صدم يوسف من هذا الصوت ليلتفت لها...

><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل الثالث:-

نظر إليها بألم وهو يقول في نفسه: [غير معقول!! إنها هي... كيف لها أن تكون هنا؟!]
أخذ يتنفس بصعوبة وقلبه يدق بشدة وكأن الأرض أهتزت من تحت قدمه فقط...
قال في نفسه: [ماذا علي أن أفعل؟!... ماذا علي أن أفعل؟!... ماذا علي أن أفعل؟!]
أخذت التذكرتان وأرادت المغادرة، وهو ينظر إليها كالحائر في دائرة كبيرة من الأسئلة..
قال لنفسه وهو ينظر إليها وهي ترحل: [علي أن أفعل شيأً...]
ثم قال بجرأة: [لحظة يا آنسة...]
نظرت خلفها وقالت: [هل تقصدني...؟]
نظرت في عينيه البنيتين اللامعتين، ثم أضافت: [ألم أرك من قبل؟]
قال بمرح: [ذاكرتكِ قوية... أجل أنا يوسف الذي أستوقفكِ في الحديقة العامة]
[أجل تذكرتك الآن... كيف حالك؟]
[الحمد الله أنا بخير، ماذا عنكِ؟]
[الحمد الله أنا بخير أيضاُ... يبدو أنك أستوقفتني من جديد... فماذا تريد الآن؟]
أرتبك من سؤالها... ولم يعرف ماذا يقول... ولكنه لم يستطع مسح ابتسامته الحنونة ونظرته السعيدة، ولكنه فكر وأدرك أنه قد لا يلتقيها مرةً أخرى... لذا قال لنفسه بعزم: [علي التصرف... لقد كنتُ خبيرا في أغواء الفتيات بسرعة... علي إظهار تلك الخبرة والآن... إنه أمتحان صعب]
قالت: [ما بك؟ هل تريد مني شيء؟]
[نعم... أريد أسمك]
[يالك من وقح... لم يتغير فيك شيء]
أرادت الرحيل، ولكنه وقف أمامها ليمنعها... ثم قال: [أنا لم أرى فتاة مثلك من قبل...]
[ما الذي تقصده؟]
[أعني... أنا أعني...]
بلع ريقه بصعوبة حين قال: [لا شيء...]
ضحكت الفتاة من جديد... وقالت له: [يالك من مجنون...]

www.alkottob.com

ضحك قليلا وقال لها: [لم تأتي بشيء جديد... هذا ما يعتقده الجميع عندما....]
قالها بصوت بالكاد يسمع: [أحببتكِ...]
[عندما ماذا يا يوسف؟]
[لدي طلب واحد فقط... أريد أن أعرف ما أسمكِ]
نظرت إليه بحيرة حين قالت: [لدي سؤال... هل ترضاها لأختك؟!]
قال بأبتسامة ذابلة: [كنتُ أتمنى أن يكون لي أخٌ أو أخت... ولكن والدتي لم تنجب سواي]
أخرج من جيبه محارم بيضاء وقال لها: [هل تعرفين ما هذه؟]
نظرت إليه بعدم معرفتها بها، فقال: [إنها محارمكِ التي أسقطها في الحديقة ذلك الوقت...]
قالت: [لا أذكرها...]
[حاولي أسترجاع ذاكرتك... في ذلك اليوم]
أخذت تحلق في سماء ذاكرتها تبحث عن عصفورة ترشدها إلى تلك الذاكرة، ولكنها قالت: [يبدو أنني أسقطها، ولكن ماذا تفعل تلك المحارم عندك؟!]
أرتبك... ولم يعرف ماذا يفعل في ذلك الوقت... ثم قال: [هل تحبين الصراحة؟]
[وهل هناك شخص يكره الصراحة؟!]
[أنا أخاف من شيء واحد... وهو أن تفهميني خطئاً...]
نظرت إليه في عينيه التي تبدو كالبندق تماماً: [لن أفهمك خطئاً، قل ما عندك]
[كنتُ أتحدث مع الفتيات وأذهب إلى المراقص... كانت حياتي مليئة بالسوء... حتى أني واحد من أصحاب السوء... أكذب على والداي، وأسهر الليالي مع الراقصات الرخيصات في الفنادق و...]
قاطعته: [يكفي ما قلته...]

><><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل الرابع:-

يوسف: [ماذا؟!]
آمنة بغضب: [هل تعتقدني رخيصة وساذجة؟! أنت مخطئ]
[كلا... لقد فهمتيني خطئاً... أنا... أنا...]
نظرت إليه بقهر ممزوج بالكراهية، ثم قالت: [أنت معتوه...]
أرادت الرحيل، وكالعادة يستوقفها من جديد، لينظر إلى وجهها الجميل الغاضب...
قال هامساً لها: [لا تغضبي... هذا يشوه جمالك...]
فصفعته بقوة على وجهه، صفعة ممزوجة بالقهر والغيض، وغادرت المكان بسرعة، وهذه المرة لم يتجرأ على أيقافها... مسح خده الأحمر بيده وقبلها ثم قال: [على الاقل تمكنتُ من لمسها...]
وغادر المكان هو كذلك...

عاد إلى صديقيه في ألم مدمج بالحزن... نظرا إليه وكأنه آت من جنازة، ولم يكن يريد التحدث.
ولكنه قال وشفتاه ترتجفان: [لنرحل عن هذا المكان]
واتجه إلى المخرج، أستوقفه حمد وقال له: [ما الأمر؟! ما الذي حدث؟!]
سعد: [هل أنتهت التذاكر؟!...]
لم يتحدث، لقد بدا وكأنه سينفجر من البكاء الآن، والشيء الغريب أنه ينزف دموعه بدون أن يصدر أي صوت، غضب سعد وقال له: [ما الأمر؟! لما لا تتحدث؟!... أخبرنا في الحال...]
ولكنه غادر المكان إلى مكان آخر في حزن شديد... ولم يحاول أحد منهما لحاقه...
قال حمد بقهر: [ما به؟!]
سعد: [دعه وشأنه... لنتركه يهدأ ثم نعرف منه ما الذي حدث]

وصلت آمنة إلى صديقتها وهي تبكي، سألتها صديقتها عن سبب هطول تلك الدموع، فقالت: [لقد ذكرني به...]
[من هو؟ وبمن ذكركِ]

www.alkottob.com

[لقد ذكرني ذاك الرجل به من جديد، كلما أحاول نسيانه يأتيني أحد ما ويذكرني به]
[بماذا تثرثرين أيتها الحمقاء؟!]
أخبرتها آمنة بكل شيء، منذ البداية وكانت حزينة أثناء سردها لما حدث منذ عدة أيام وبألتقاءها بيوسف.
قالت صديقتها: [ربما كان يحبكِ...]
[لا أعتقد ذلك أبداً... كل الرجال مخادعون ومجرمون يتلذذون في تعذيبنا...]
[لا تحكمي عليه هكذا... هناك دليل قوي يثبت حبه لكِ... أولاً صدقه معكِ وثانياً تلك المحارم... إنه يحتفظ بها منذ ذلك الوقت... أنا أشعر به]
[أنتِ لم تشعري بالخيانة يا إيمان... لم تشعري بذاك الشعور المؤلم...]
قالت إيمان لنفسها: [لماذا أشعر بأنه يحبكِ بجنون يا آمنة؟!]
[لقد كنتُ أحب محمد حتى الجنون... ولكنه طعنني عندما تزوج من ابنة خالته...]
[كلا... أنتِ ما زلتي تحبينه، وتريدين نسيانه ولكنكِ غير قادرة على ذلك... أنا صديقة طفولتكِ وأعرف عنكِ كل شيء... ذلك الرجل هو الوحيد الذي سينقذكِ منه]
[وما أدراكِ؟!]
[لا أعلم... ولكن...]
قاطعتها: [انتهى الأمر... هيا نعود للمنزل]
[كلا... علينا أيجاد ذاك الرجل في الحال يا آمنة]
[ولماذا؟!]
[أريد أن أراه فقط... هذا كل شيء... لنبحث عنه]
[ولكن...]

كان يوسف يجلس بمفرده بعيداً عن أنظار الناس وهو يشتم تلك المحارم، وكأنها مخدرات، يحاول جاهداً منع نفسه من البكاء، ولكن دون جدوى، فتلك الصفعة هزت كيانه... وبعد لحظات وصل صديقيه.
سعد: [لماذا تبكي؟!]
حمد: [الرجل لا يبكي يا يوسف... قل لنا ما الذي حدث بالتفصيل...]
قال يوسف: [لقد رأيتها من جديد...]

www.alkottob.com

سعد: [من التي رأيتها؟!]
فأخبرهما بالقصة، وبما حدث معه بالتفصيل، رغم أن شفتيه كانت ترتجفان إلا أن كلامه كان مسموعاً، وبعد سماعهم لها.
قال سعد: [هل أنت أحمق؟؟؟ بدلاً من أن تحاول أن تتقرب منها، تنفرها من أمامك؟!]
حمد: [ما بك؟ هل تريدني أن أعلمك كيف تتعامل مع الفتيات؟!]
يوسف: [لا أريد شيئاً، أريد أن أبقى لوحدي]
سعد بأصرار: [دعنا نبحث عنها في الحال... لا بد أن نتحدث معها بشأنك]
يوسف: [ولكن...]

><><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل الخامس:-

شعرت بالضيق قليلا حين قالت لصديقتها إيمان: [لقد صفعته على وجهه]
إيمان: [هل تمزحين؟!]
[وهل أبدو لكِ كذلك؟]
ضحكت إيمان بصوت عالي: [يبدو أنه يشعر بالعار الآن... أو ربما هو سعيد بالصفعة]
[ما الذي تعنينه يا إيمان؟]
[أقصد... إذا كان يحبكِ سيكون سعيداً بهذه الصفعة لأنكِ لمسته]
[وإذا كان يخادعني، كان سيشعر بالعار، أو ربما لرد الصفعة في نفس الوقت]
قالت آمنة بحزن: [عرفتُ ما تقصدينه... في الحقيقة، أريد الأعتذار منه]
[هذا رائع، لنبحث عنه، هيا]
[ولكن القرية العالمية كبيرة جداً، كيف لنا أن نعثر عليه]
لم تهتم إيمان بضخامة مساحة المكان، بل تحمست لرؤية ذلك الشاب، وأخذت تبحث في كل مكان.

في أثناء ذلك، سأل سعد: [ما الأمر؟ لما لا تريدنا أن نبحث عنها]
يوسف: [لا يمكنني أخباركم بما حدث مؤخراً]
حمد: [بل ستخبرنا... والآن]
يوسف: [الأمر ليس سهلاً، حدث شيء قد يكون خطيراً بالنسبة لكم، وبالنسبة لي أراها حلماُ وتحقق]
سعد: [يوسف، نحن صديقاك، نريد لك السعادة، ونريد أن تنجح علاقتك مع تلك الفتاة... هيا أخبرنا]
يوسف: [إنه صعب، ولكنني سأخبركم، في الحقيقة... لقد... لقد...]
حمد: [أجل، لقد ماذا؟]
يوسف: [لقد صفعتني على وجهي]
ذهل حمد وسعد وقالا معاً: [ماذاااا؟؟؟؟]
سعد: [هل أنت تمزح؟!]
ضحك حمد ومن ثم سعد، قال يوسف: [ألم أقل بأنه صعب علي أخباركم؟]
حمد: [يا للعار، يا للعار... فتاة تصفعك؟! ألا تخجل من نفسك]

www.alkottob.com

سعد: [لماذا لم تلطمها أيضاً...؟؟]
يوسف: [وكأن هذا البلد ليس له أية قوانين]
حمد: [معك حق، إن الأمر مضحك حقاً، وعار عليك]
يوسف: [أنا أحبها، أحبها كثيراً، وبصراحة أنا سعيد بتلك اللطمة، على الأقل تمكنتُ من لمسها]
حمد: [هذا ما تعتقده أنت... عموماً هيا نبحث عنها لنعرف كيف تبدو تلك الفتاة]
مد حمد يده إلى يوسف ليساعده على الوقوف، ثم قال: [هل أنتما جادان؟!]
سعد: [بالتأكيد، هيا نبحث عنها]
يوسف: [ولكن القرية كبيرة جداً]
حمد: [لا يأس مع الحياة... ولا حياة بدون أمل]
أعادت تلك الكلمات الروح المعنوية ليوسف، ولقد بدا في قمة السعادة.

لم يتركوا مكاناً لم يبحثوا فيه، لقد كانتا تبحثان في مناطق التي يمكن أن يجتمع فيه الشباب، لعلهما يجدانه، ولكنهما لم تجداه، وكذلك الأمر مع الفتيان، دخلوا كل القرى التي يفضلنها الفتيات، ولكنهم لم يعثروا عليها.
قالت آمنة: [لا فائدة... لن نجده]
إيمان: [بل سنجده، لا تقلقي]
وأستمرتا في البحث...
قال سعد: [وكأننا نبحث عن أبرة في كومة قش]
حمد: [يا إلهي، علينا أن نعثر عليها]
يوسف في يأس: [إنسيا أمرها، هيا نغادر إلى الديار]
أراد الرجوع ومسك حمد ذراعه بقوة وقال له: [لا تكن أحمقاً، سنبقى هنا حتى نعثر عليها]
[ولكن...]
[بدون لكن هيا نستمر في البحث]

><><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل السادس:-

وصل الجميع في حالة يائسة من البحث المستمر الذي أخذ منهم الكثير من الوقت، ولم يتركوا جزءاً إلا وبحثوا فيها.
قالت إيمان: [أين هو ذاك اللعين...؟]
آمنة: [لا جدوة من البحث... لنغادر]
[معك حق... إنها مضيعة للوقت]
قالت إيمان في نفسها: [لما ينتابني شعور أننا سنراه قريباً؟؟]
وغادرتا المكان متجهتين إلى مواقف السيارات.
وفي الجهة الأخرى، قال حمد: [لا فائدة من البحث، ربما تكون قد رحلت إلى منزلها]
سعد: [خسارة، ولكن لا داعي للقلق، ربما يلتقيها مرة أخرى]
يوسف: [لا أعتقد...]
[ولماذا لا تعتقد ذلك يا يوسف، أنت تحبها]
[الله لا يريد ذلك...]
نظرا إليه باستغراب شديد جداً، فقال حمد: [ماذا تعني؟!]
قال يوسف بجدية: [هل فكرنا قبل إن كان الله راضيا علينا؟.. هل فكرنا قبلا إن الطرق التي نذهبها صحيحة؟... هل فكرنا قبلا ما الذي سيحدث لنا يوم القيامة؟... هل فكر كل واحد منا لماذا حياته هكذا؟...]
نظرا كلا من سعد وحمد إلى بعضهما البعض حتى أضاف يوسف: [نحن نعلم جيداً... أن الزنا حرام، والكذب حرام، والذهاب إلى تلك الاماكن حرام... ولكن لماذا نحن نفعل كل هذا؟؟ أخبراني]
نظر إلى عيونهم المتعجبة وقال بهدوء: [هذا سبب حبي الشديد لها... إنه عقاب من الله... عقاب من هو]
قال حمد: [هل أنت مجنون؟! لماذا تتفوه بهذه الحماقات؟!]
سعد: [أنت مجنون يا يوسف... نعم... مجنون]
يوسف: [لنغادر المكان... لنغادر الآن]
غادر يوسف وصديقيه المكان في أستياء، ولم يفكر أحد منهم في التحدث أبداً... لقد صدم سعد وحمد مما قاله يوسف لهم، هذا آخر ما تخيلاه منه.

www.alkottob.com

ركبت آمنة وإيمان سيارة "أنفنتي اف اكس ٥" التي تقودها إيمان بالتحديد، وكان بقربها سيارة فيتارا، وقد وصل حمد ويوسف وسعد إلى السيارة أيضاً... وعندما غادرت سيارة أنفنتي رأت آمنة يوسف، وهو كذلك رآها في السيارة، ولكنها لم تتحدث وهو كذلك، ولقد راقب السيارة تغادر المكان.

حمد: [يوسف ما بك؟ هيا أصعد..]

يوسف: [أوه، أجل سأصعد الآن]

ركبوا سيارتهم وغادروا المكان من فورهم.

><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل السابع:-

وفي طريقهم للعودة إلى الديار، كان يوسف يجلس في المقعد الخلفي، وكانوا جميعاً هادئين، ولا يتجرأ أحد على الحديث، خصوصاً بعد أن قال يوسف تلك الكلمات التي تعجبوا منها كثيراً، ظلوا على هدوءهم حتى أن وصلوا إلى الديار.
قال يوسف الذي لم يكن يشعر بوجودهما: [ليتني أنساكِ، ليت تلك الأيام تعود إلي من جديد]
لم يتحدث أي منهما، فأضاف: [ليتني أعرف ما أسمكِ فقط... أريد أن أعانقكِ بقوة... أريد وأريد وأريد]
نظر حمد إلى سعد الذي يقود السيارة وأشار بيده إلى دماغه بطريقة يدل على جنونه.
ثم قال سعد: [إنها فرصتنا يا حمد]
حمد: [ماذا؟]
سعد: [هل تريد أن تنساها يا يوسف؟]
[بالتأكيد... هل تعرف كيف أنساها؟]
[أجل، إنه أمر بسيط جداً]
قال يوسف بحماسة وأصرار: [دلني عليه بسرعة يا سعد، أرجوك]
[لا تتحمس كثيراً، إنه يحتاج إلى الإرادة]
[ولدي الإرادة..]
[حسناً، سأجعلك تنساها اليوم... هل أنت موافق؟]
[بالتأكيد...]
نظر حمد إلى سعد الذي رسم على وجهه ابتسامة خبيثة، فقال في نفسه بقلق: [بماذا تخطط يا سعد؟، لا يمكن أن يكون...]
وبعد لحظات من السير في شوارع ديارهم، أوقف سعد سيارته قرب محطة وقود، ونزل من السيارة وسار بعيداً عنهم، فقام بأتصال معين وعاد إلى السيارة.
قال: [حسناً، كل شيء جاهز الآن]

وبعد لحظات، وصلوا إلى شقة صغيرة، نزلوا من السيارة، وكان على حمد القلق المريب.
سأله يوسف: [ما بك؟]

www.alkottob.com

حمد: [لا... لاشيء]
فقال في نفسه: [أرجوا أن يكون ما أفكر به خطئاً...]
دق سعد الجرس، فخرجت إمرأة جمالها أصطناعي "متبرجة ومنمصة حاجبيها" شعرها أشقر، جسدها مثير جداً، وقالت: [أهلاً، تفضلوا...]
دخلوا في الشقة ورأوا خمسة من النساء ورجل واحد ويبدو عليه أنه في الثلاثين.
قال لهم: [أهلاً وسهلاً، تفضلوا...]
وكانت هناك مجموعة من زجاجات كبيرة، نظر إليها حمد فعرف ما يفكر به سعد، فمسكه من يده وجره إلى جانب بعيد كي لا يسمعهما يوسف.
قال: [هل أنت أحمق، تريد أن تجعله يسكر؟!]
[هو يريد نسيانها...]
[ليست بهذه الطريقة... إنه صغير، عمره ١٨ عاماً فقط... ما بك؟!]
[ونحن في العشرين، هو سيشربها آجلاً أم عاجلاً... وأنا أريد أن أراه وهو سكران]
[في الحقيقة، أنا كذلك، سيبدو مضحكاً جداً...]
[إذن دعنا نرى ما سيفعل...]
[ولكنه...]
[ما بك؟!... إنه يريد نسيانها]
[حسناً، كما تشاء... أفعل ما تريد]
ذهب سعد إلى يوسف الذي كان يجلس مع النساء في كراهية، وكأنه ينظر إلى وحوش... لم يكن يريد أن يرى أية فتاة، فقط آمنة، هي من يحلم بها... وحاولت أحدى منهن إثارة أعجابه ولكنها لم تنجح.
قال سعد: [يوسف، تعال إلى هنا بسرعة، تعال وتناول الدواء الذي سيشفيك من ذاك الحب]
أتى يوسف إلى سعد الذي كان يجلس بالقرب من الرجل، فقال الرجل: [إنه سمين جداً، كيف له أن يمشي...]
سعد: [أخرس أيها الشاذ... ودعه يشرب...]
أخذ يوسف الكأس، وقال: [هل أنت متأكد أنه سيشفيني؟]
[أنت جربه أولاً...]

www.alkottob.com

شربه يوسف كاملاً دفعةً واحدة، فطلب المزيد، وشربه دفعةً واحدة ما يقارب سبعة شربات، حتى ثمل، ولم يعد يدرك ما وصل إليه... فرقص مع النساء، ويعانقهن، و... و... و... الخ

وفي الجهة الأخرى، كانت والدته تقف عند عتبة الباب في الساعة ٣ صباحاً، لم تستطع النوم أبداً وولدها الوحيد يوسف، لم يعد بعد، كانت تفكر به، تصلي ركعتين وتدعو من الله أن يحميه، ويبعده عن السوء حتى أذن الفجر، فأراد والد أبو يوسف الذهاب إلى المسجد، فتعجب من وجود زوجته أم يوسف على عتبة الباب.
فسألها: [ماذا تفعلين؟!]
نظرت إليه وعينيها تملأنها الدموع: [لم يعد بعد]
[ماذا؟! أعتقدتُ أنه نائم في الغرفة]
[كيف لك أن تعرف ذلك؟ ولدنا لم يسهر إلى هذه الساعة قبلاً]
[يا زوجتي العزيزة، هو سيعود، أنتِ تعرفينه]
[ينتابني شعور غريب جداً... إنه ولدنا الوحيد]
[أدخلي وصلي صلاة الصبح، وأدعي إلى الله بأن يحميه]
[هذا ما فعلته طول الليل]
ذهب أبو يوسف إلى المسجد وعاد وزوجته على عتبة الباب تنتظر يوسف، أراد الدخول بدون أن يتحدث معها، أو يقنعها بالدخول، هو يعرف أن محاولاته لن تجدي معها.
وبعد لحظات وصل يوسف، فسعدت الأم كثيراً ولكن والده كان غاضباً، وعندما وصل إليها وهو في تلك الحالة.
قال: [من أنتما؟! هيا أخرجا من منزلي...]
أم يوسف: [يوسف، بني، ما الذي حدث لك؟!]
قال: [هيا أغربي عن وجهي أريد أن أنام]
عرف كِلا من أبو يوسف، وأم يوسف أنه سكران، فمسكه والده ودفعه للخارج قائلاً: [أخرج من بيتي في الحال]
حاولت أم يوسف منعه ولكنها لم تكن تريد أن يصب غضبه عليها أيضاً.
قال يوسف: [ما بك أيها الأحمق؟! أخرج من بيتي في الحال...]

www.alkottob.com

فلطمه على وجهه بقوة مما أدى إلى سقوطه على الأرض، والأم تبكي بشدة فدخلت داخل المنزل لكي لا ترى ما يحدث.
وأغلق أبو يوسف الباب خلفه بقوة، وأقفله.
قال يوسف: [سأبحث عن مكان آخر أبيت فيه... بيتكم ممل جداً]
فغادر المكان إلى مكان آخر، وهو في الحقيقة لا يعرف أين يذهب، وفي أثناء مشيته توغل بين أشجار السمر المنتشرة في ذلك المكان، فسقط على الأرض، ونام بهدوء.

><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل الثامن:-

فتح الشاب عينيه، لقد كانت الشمس في منتصف السماء، لقد نهض بفعل حرارة الشمس، فوجد نفسه ملقى على الرمال، عندما وقف على قدميه وشاهد نفسه غير قادر على ضبط قدميه قليلاً، فتذكر ما حدث في الليلة السابقة، وتذكر أيضاً طرد والده له، فصرخ صرخة قوية جداً، وأخرج هاتفه النقال ورماه بعيداً ومن ثم أخرج محفظته ورماها بعيداً أيضاً.
قال بصوت حزين وعالي: [لقد، أنتهت حياتي هنا... لا يمكنني العودة إلى الماضي، لا بد لي من الهرب]
أخرج المحارم البيضاء من جيبه ولكن قلبه لم يستطع أعقناعه بقذفها بعيداً كما حدث فعل بهاتفه ومحفظته، شمها بقوة ونزلت دموعه الحارة الممزوجة بالقهر والغيض والألم والحب.
وقال لنفسه: [ماذا فعلت؟! كيف لي أن أقابل والدي ووالدتي المسكينة، أعرف أنها لن تقدر على النوم بسببي]
ركض بعيداً، إلى المجهول، إلى مكان لا يراه أحد، كان يركض وهو يبكي على ما حدث معه، على حبه الذي لا يمكنه نسيانه، يبحث عن الدواء الشافي، ولكنه ظل يركض حتى وصل إلى الشارع الرئيسي وأراد عبوره ولكنه لم يلتفت إليه من الأساس فصدمته سيارة بقوة مما أدى إلى تقلبه على الأرض بقوة خارقة.
نزل السائق من السيارة وركض بسرعة إلى يوسف الغارق بدماءه، وكان النزيف شديداً ونزل كم الهائل من الناس من سياراتهم، لينظروا هول تلك الدماء.
قال الرجل بخوف وأعياء: [لا حول ولا قوة إلا بالله]
قال ثانٍ بحزن ممزوج بالدهشة: [علينا أخذه إلى المستشفى بسرعة، هيا]
ونقلوه إلى المستشفى بسرعة الريح.

مضت ما يقارب تسع ساعات وهو في غرفة الانعاش، خرج الأطباء من الغرفة بأستياء شديد، فمسك الرجل أحدهم وسأله
[كيف حاله؟! هل هو بخير الآن؟!]
[إن حالته صعبة جداً، لقد نجى بأعجوبة، كسرت معضم أضلاعه، وتمزقت ثلاث أنابيب من شراييه، ساعدنا يا سيدي، علينا أن نجد متبرع بالدم]

www.alkottob.com

[أنا سأتبرع بدمي له... في الحال]
[اتبعني إذن...]
وفي غرفة الانعاش، كان يوسف في حالة محزنة حقاً!! موصل بالكثير من الأسلاك، والمغذي، والقناع على وجهه، وفي ذلك الوقت، دخلت عليه ممرضة لكي تراقبه، وترى حالته، فربما يطرا عليه أية تغيير، فرأت أن أصابعه لليد اليمنى مضمومة بقوة، وعندما دققت عليه، رأت المحارم البيضاء في يده، وعندما حاولت إزالتها، شعرت بأحساس قوي يمنعها من ذلك.
سألت بصوت خافت: [ماذا تفعل تلك المحارم في يده؟! ألم يلاحظ عليها الأطباء؟!]
نظرت إلى وجهه وجسده المغطى بالضمادات وقالت في نفسها: [يبدو أن تلك المحارم مهمة جداً بالنسبة له...]
رجع الرجل إلى منزله الساعة العاشرة والثلاثون مساءً، ليرى زوجته تنتظره... كان البيت كبير وفيه مزرعة صغيرة مليئة بالزهور تسعد ناظرها.
سألته: [قل لي؟! هل ما قلته لي على الهاتف صحيح؟!]
[أجل يا زوجتي، إنه في حالة خطرة جداً]
[يا إلهي... سأدعو من الله أن يشفيه...]
خرجت فتاة من غرفتها وسألت والدها: [ما الأمر يا أبي؟! ما الذي حدث؟]
[لم يحدث شيء، فقط أخلدي للنوم الآن يا آمنة]
[كما تشاء يا أبي...]

مضت الأيام والأسابيع، فوصل اتصال إلى السيد صالح في عمله، وهو يجلس على مكتبه يحاول أخراج هاتفه الذي يرن.
صالح: [السلام عليكم]
[وعليكم السلام]
[مرحباً أيها الطبيب، هل هناك أية خدمة أسديها إليك؟]
[لقد نهض من غيبوبته... ذاك الفتى]
[حقاً!!... أنا قادم الآن]
أغلق هاتفه ولم يقل مع السلامة أو أي شيء، وخرج من مكتبه إلى السيارة مباشرة وهو سعيد جداً، وفي أثناء سيره إلى المستشفى، اتصل بزوجته ليبشرها.
[هل حقاً ما تقوله يا عزيزي؟! الحمد الله]

www.alkottob.com

[ما رأيكِ أن نزوره غداً؟!]
[كما تشاء، سنذهب لنزوره]
[أخبري آمنة والتوائم الثلاث بذلك...]
[كما تشاء...]
أغلق الهاتف من جديد ومن دون أن يقول إلى اللقاء لزوجته، وثابر على الوصول بسرعة إلى المستشفى، وبعد وصوله دخل في المبنى وسأل عن رقم الغرفة في الحال، وبعد لحظات، هو هنا الآن متردد وسعيد في آن واحد، لأنه سيتحدث إليه...
طرق الباب، وتوجهت عيون يوسف إليه ولكنه لم يجب عليه، بل كان يشم المحارم البيضاء، فطرق الباب من جديد فلم ينتظر الرد بل دخل في الغرفة، ونظر إلى يوسف الذي كان يرتدي بذلة زرقاء اللون وهي للمرضى فقط...
قال صالح: [السلام عليكم...]
[وعليكم السلام]
[الحمد الله على سلامتك يا بني]
[شكراً لك... ولكن هل أنت من أحضرني إلى هنا؟!]
[نعم... لقد ظهرت أمامي فجأة في الطريق، فصدمتك...]
[أنا آسف... أنا سبب كل هذه المشاكل]
[لا تقل ذلك يا بني]
[كان عليك أن تتركني أموت...]
[لا تقل شيئاً كهذا ارجوك... ما هو أسمك؟!]
تردد يوسف، إذ لم يكن يريد أن يخبره عن أسمه، فقال: [لا أعلم...]
[ماذا؟!]
[أرجوك لا تسألني عن نفسي، فأنا لن أجاوبك...]
[ولكن لماذا؟!]
[لن أجاوبك...]
[كما تشاء...]
نظر في عينيه الحزن الشديد والتعاسة والبؤس في آن واحد.
فسأله: [ولكن لماذا أقدمت على الانتحار؟!]
[لا أعلم...]

www.alkottob.com

كان يوسف ينظر إلى المحارم التي بين يديه، في حزن مملوء بالتعاسة... مما جعل صالح يتألم من أجله، إذ عرف أن يوسف كره نفسه.
فقال له بمرح: [غداً سآتي بعائلتي إلى هنا.. يريدون أن يزورونك... فما رأيك؟!]
نظر إليه بمرح قليلاً وقال: [يسعدني ذلك...]
[إن عائلتي صغيرة، زوجتي، وأبنتي آمنة وتوائمي الثلاث، حمد ومحمد وأحمد]
[هذا لطيف... يشرفني تواجدهم معي في الغرفة...]

><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل التاسع:-

رجع صالح إلى البيت، وكان عابساً، نظرت إليه زوجته التي أعتقدت أن هناك مكروه ما حدث ليوسف، فذهبت إليه.
سألته: [ما بك؟!]
قال بحزن: [لقد قطع قلبي يا عزيزتي]
[ما الذي تقصد؟!]
[إن الفتى في حزن شديد جداً، حزن لم أرى مثيل له، أشعر بأنه سيحاول الانتحار من جديد]
[يا إلهي، لا تدع هذا يحدث أرجوك، ولكن ألم تحاول أن تعرف ما سبب حزنه؟!]
[بلى، ولكنه رفض أخباري أي شيء]
[ماذا علينا أن نفعل؟!]
[سأحاول أن أبحث عن والديه، لعلي أفهم سبب دماره]
[هو لم يرى أهله منذ أسابيع طويلة يا زوجي العزيز، فهم لم يسألوا عنه]
[وما أدراكِ بذلك؟!]
[ربما لم يسألوا عنه...]
[عموماً، غداً سنقوم بزيارته، سنحاول أن نبعده عن الحزن قدر المستطاع...]
[يا إلهي... كم قلبك رحيم!!]
قال بحزن: [لو كان ولدنا حياً لكان في مثل عمره...]
[هذا قدر الله، هو من يحكم ومن يكتب نصيبنا... لقد كان صغيراً ولم يكن يستوعب خطورة السيارات في الشارع]
[أقفلي هذا الموضوع... كمرة قلتُ لكي أريد نسيان الماضي]
قالت: [لقد رزقنا الله بتوأمين، آمنة وسالم، بعد وفاته رزقنا بثلاثة... إنه هو الرحمن الرحيم... لطف بنا]

وفي المساء، كانت أم يوسف تقرأ القرآن بحزن، ودموعها بللت أوراق الكتاب، كانت تقرأ سورة يوسف، لترى كيف كان صبر يعقوب عليه السلام، ذاك النبي الذي صبر على ما فعله أبناءه بأخيهم يوسف، ولكنه قال لهم "صبر جميل" هذه العبارة كررتها أم يوسف أكثر من مرة، وبعد أن انتهت من قراءة القرآن أغلقته،

www.alkottob.com

فوصل أبو يوسف، ولم يتكلم إليها مطلقاً، بل كانت عيناه البنيتان ذابلتان، وملامحه حزينة.
قالت بصوت خافت: [أعلم أنك أكثر حزناً مني على فقدان ولدنا يوسف]
قال متظاهراً بعدم الحزن: [إنه عار علينا... ألم تريه وهو سكران؟!]
[كان عليك أن تنصحه، وتبعد عنه أصدقاء السوء... وليس أن تطرده من المنزل... لا تحاول أن تنكر كم أنت مشتاق له]
لقد قال أبو يوسف لها وكأنه على وشك البكاء: [لن أنكر ذلك... وأنا..]
قاطعته: [أعلم.... أنت نادم على طردك له]
جلس على الاريكة الزرقاء، وكان على وشك أن ينزف دمعة، ولكنه تمالك أعصابه.
قالت هي وهي تبكي: [لقد رزقنا الله بهذا الفتى... ولكنه لم يرزقنا بواحد غيره... إنني أذكر سؤاله لي عندما كان صغيراً... كان يقول متى سيأتي أخي يا أمي... أريد اللعب معه]
[لا تذكريني بذلك... هذا يكفي... أنتِ تعذبين قلبي بقولكِ شيئاً كهذا...]
[هل تذكر؟ لقد كنا نحاول الانجاب أكثر من مرة بسببه، لأنه وحيد بلا أخوة أو أخوات، ولكني لم أنجب]
[هذا ليس خطأكِ إنه نصيبنا، ونحن سعيدين مع يوسف...]
[وأين هو الآن يا أبا يوسف؟!... أين؟!]
وهنا أنزف دموع الشوق التي حبسها مدة طويلة...

إما عن يوسف، ففي غرفته كان مستلقياً وهو يشعر بأوجاع كثيرة ومؤلمة، ولكنه لم يهتم بها... بل أهتم بالمحارم البيضاء ودموعه تنهمر على خديه من شدة الحزن... حزن ليس كأي حزن، إنه حزين على والدته لأنه أدرى بمشاعرها، وحزين على أبيه لأنه لم يكن ولداً باراً يتفاخر به أمام أصدقاءه وأقاربه، وحزين على حبه المفقود، يحلم بأن يراها من جديد، يريد أن يقول لها كم هو يحبها، يريد أن يقول لها كم قطرة دم فيه تنبض بحبها، وكم من ألم لا يشفيه دواء الطبيب... كم... وكم... وكم...!!!!!
يشم تلك المحارم على أنها أمله الوحيد. وفي النهاية، نام بعمق رغم أنه لم يتوقف ولو للحظة عن أذراف الدموع...

www.alkottob.com

وفي العصر، قال صالح لعائلته وهو يقودهم إلى المستشفى بسيارته: [أريد أن تسلموا على أخيكم... أجعلوه سعيداً...]
قال التوائم الثلاث، الذين لا يتجاوز أعمارهم عن خمس سنوات: [حسناً يا أبي...]
ثم قال موجه كلامه إلى آمنة: [كوني فتاة مهذبة معه... إنه طيب، أجعليني أفخر بكِ أمامه]
[لك ذلك يا أبي... أنا أبنتك فلا داعي بأن توصيني بشيء...]
قالت زوجته: [أعرفكِ جيداً يا حبيبتي...]
قال محمد: [أنا أيضاً مهذب..]
قال أحمد: [وأنا كذلك يا أمي..]
قال حمد: [وأنا أفضلكم... في التهذيب]
ضحكوا جميعاً... وبعد لحظات وصلوا إلى المستشفى، ومن ثم صعدوا للمصعد ليتجهوا إلى غرفة يوسف مباشرة.
طرق الباب وفتحه، ثم قال ليوسف الذي كان جالساً على السرير: [السلام عليكم]
رد: [وعليكم السلام]
[هذه هي عائلتي... أتت لتزورك اليوم... تقدموا هيا وسلموا عليه]
توجهت نظراتها إليه لتصعق تماماً... فنظر إليها لينصدم لوجودها هنا أيضاً، فنظر إليها بنظرات حزن وحب... وأخرج محارمها من جيبه...
فنظرت إلى المحارم

><><><><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل العاشر:-

فكر هنا، أجل قال لنفسه: [علي التصرف بحكمة، إنها ابنة من أنقذ حياتي، وقد يفهمنا خطئاً، علي التصرف وكأني لا أعرفها... علي أن أقاوم قلبي وعواطفي قبل أن ينتهي بي إلى الدمار...]
نظر صالح إلى أبنته، ومن ثم إلى يوسف، بنظرة شك وحيرة، فقال: [بني، ما بك؟!]
كانت آمنة مرتبكة كثيراً ورجلاها ترتجفان، وأخذت تفكر بما سيحصل الآن.
قالت لنفسها: [أستر يارب... سترك أهم شيء الآن!!]
اتجه أحد أبناءه ألا وهو محمد إلى يوسف وقال: [هي، نحن هنا... ما بك ألا ترانا؟!]
قال يوسف بمرح: [أوه، أنا يوسف، سعيد بلقاءك يا محمد]
قال صالح: [إذن، أسمك هو يوسف؟]
قال ولم تتغير ملامحه: [أجل...]
قال التوأم الأول: [أنا حمد ولستُ محمداً... كيف لك أن تعرفنا؟!]
[أنا أعمل في الجاسوسية... رأيتك وأنت تأكل الحلوى]
[ماذا؟!]
قال محمد: [السلام عليك، أنا محمد، التوأم الثاني... ولكن ما هو هدفك يا يوسف من الجاسوسية؟]
[أنا أحاول السيطرة على العالم، وسأحكمها... ما رأيكم أن تنضموا إلي، سأجعلكم أتباعي]
توجه إليه أحمد وهو يبتسم له: [إذن لماذا أنت هنا في المشفى؟!]
[لقد تقاتلت مع أحد الغزاة القادمون من كوكب آخر... لقد كان قوياً]
قال ثلاثة بدهشة: [وهل هزمته؟!]
[في الحقيقة كلا... لقد هزمني...]
[يالك من ضعيف...]
ضحكت زوجة صالح ضحكة مفعمة بالمرح، والتفت إليها ثم قال: [أعذريني يا خالة، إنها وقاحة مني....]
قاطعته: [لا عليك يا بني... هيا يا آمنة سلمي عليه]
قال بمرح: [إذن، فأسمكِ هي آمنة... لم أتوقع ذلك]

www.alkottob.com

قال صالح: [يبدو أنكما تعرفان بعضكما...]
قال يوسف بثقة: [كلا...]
نظرت إليه بتعجب، ثم أضاف: [ولكني تعجبت... من تكون تلك الفتاة الجميلة؟!]
قال صالح: [أوه...]
ثم أضاف يوسف: [إنها جميلة كحورية البحر تماماً... وتشبه والدتها كثيراً... شيء رائع أليس كذلك؟!]
قال لنفسه: [أيها الأحمق، حاول أن تكون أكثر دقة في أختيار كلماتك، فقد يشك بنا]
قالت أم آمنة بابتسامة: [هذا لطف منك يا بني... هيا آمنة سلمي عليه]
نظرت إلى والدها الذي أشار لها بحسن التصرف، وتقدمت نحوه وقد أستراحت من حديثه.
قال لصالح وهو ينظر إلى عينيها: [يبدو أن ابنة عمي خجولة كثيراً... أليس كذلك؟!]
قال صالح: [أجل يا بني، إنها تحب الناس كثيراً ومتفوقة في دراستها]
قالت: [حمداً الله على سلامتك يا يوسف]
رد عليها: [شكراً لكِ يا آمنة...]
قالها بمرح، ولكن قلبه كان يدق بشدة، يريد أن يقول لها الكثير الكثير من ما يحتفظه قلبه لها خصيصاً، وهي كذلك نظرت إلى عينيه البنتين كالبندق، فابتسم لها بحب وحنان، فبادلته الابتسامة أخيراً.
قال لنفسه: [آآآآآآآآه كم أريد أن أعانقكِ بقوة حتى الموت، ليتكِ تشعرين كما أشعر أنا تجاهكِ، لعرفتي كم هو عظيم هذا الشعور المؤلم]
ونظر إلى محارمه، فشمها بقوة، وتعجب الجميع من هذا العمل.
فسأله محمد: [لماذا تشمها؟!]
أحمد: [هل هذا هو سلاحك لتقضي على الأشرار]
ضحك منهم، وقال: [كلا... إنها مجرد دواء... دواء لعله يشعر بي]
قال الثلاثة: [لم نفهم...]
[عندما تصبحون رجالاً أشداء... ستشعرون بها]
قال صالح: [ولكن لما تشمها؟! فأنا أكلمك بجد يا يوسف]

www.alkottob.com

قال يوسف وهو ينظر إليها: [أنا أشمها منذ اليوم الأول الذي ألتقط فيها هذه المحارم، لقد كانت في الحديقة العامة زهرة جميلة تنشر عطرها في كل أرجاء قلبي، ولكنها نشرته في هذه المحارم أيضاً... فصرت أشمها منذ ذلك اليوم...]
عندها... تذكرت رميتها لتلك المحارم، تذكرت أنها مسحتها على وجهها ومن ثم رمتها على الأرض...
ثم سألت نفسها: [ما الذي حدث لي؟! لما أشعر أني قد كنتُ سبب وجوده هنا في المستشفى؟! لا بد لي أن أعرف منه سبب أحتفاظه بهذه المحارم]

أخذ يوسف يضحك الجميع ويسليهم، وهو يريد الآن أن يخطف قبلها كما فعلت هي بقلبه، فركز حديثه لها، حتى المساء، ولم يكونوا يريدون مغادرته، ولكن لا بد لهم من ذلك.
الساعة الثامنة الآن، قال صالح: [لقد سعدنا حقاً اليوم من زيارتك، ونريد البقاء أكثر، ولكن لا بد لنا من الغادرة الآن]
تذمر التوائم الثلاث، وأخذوا يحاولون أقناع والدهم بالبقاء أكثر، ولكنه قال: [لقد تأخر الوقت... علينا الذهاب، ولا تنسوا المدرسة]
قالوا: [أوووووووه لاااااااا]
ضحك يوسف وقال لصالح: [ولكنهم صغار على المدرسة...]
[أنا أقصد الحضانة...]
[آه فهمت...]
قالت زوجته: [يا أبناءي الأعزاء... لنخرج]
فخرجوا مودعون يوسف بأسى قليلاً، ثم سألته آمنة: [لم تقل لي في أي ساعة تنام يا يوسف؟]
رد: [ربما الحادي عشرة، لماذا؟!]
قالت: [كنتُ أريد... أن... أن أعرف... أن أعرف فقط.. فقط]
وأرادت المغادرة، ولكنه قال: [آمنة...]
التفتت إليه ونظرت إلى عينيه وابتسمت، ثم أضاف: [شكراً لزيارتك... أسعدني موجودكِ هنا...]
ورحلت بسرعة بدون أن ترد عليه، ولكنها كانت سعيدة جداً، بل شعرت أنها تحلق في الفضاء، ولكنها تملك سؤال يحيرها، ووصلت إلى سيارة والدها، ورجعوا إلى البيت.

www.alkottob.com

دخلت غرفتها بسرعة واتصلت بصديقتها إيمان، وطلبت منها أن تمر عليها بسرعة البرق، وسألتها عن السبب، وقالت لها حين تصل إليها ستخبرها بكل شي، وأخذت تدور في الغرفة ذهاباً وأياباً، حتى وصلت صديقتها، وأستأذنت من والدتها على أنها ستخرج مع صديقتها لتتنزه قليلاً.
ركبت السيارة وقالت: [تحركِ بسرعة...]
تحركت إيمان على الفور وسألتها: [ما بكِ؟! ما الذي جرى؟!]
فأخبرتها بالقصة منذ البداية حتى ركوبها سيارتها.
قالت: [ربما يحبكِ بالفعل...]
[هذا ما أشعر به أيضاً]
وبعد ربع ساعة تقريباً وصلتا إلى المستشفى وصعدا إلى الغرفته، وطرقت الباب... ولكنه لم يرد.
قالت إيمان: [ربما يكون نائماً]
[كلا... ليس نائماً، سأدخل]
دخلت الغرفة مع صديقتها... فرأت يوسف يشتم تلك المحارم، ويذرف الدموع... عندما نظر إليها سعد لوجودها.
وقال: [لقد عدتي إلي من جديد...!!]

><><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل الحادي عشر:-

ابتسم لها بحب وفرح، ثم سألها: [هل أتيتي لوحدك؟!]
قالت: [أتيت مع صديقتي... إيمان هذا هو يوسف الذي حدثتكِ عنه]
نظرت إليه إيمان ثم قالت لنفسها: [إنه ليس وسيماً كما ظننت، إن وسامته مختلفة، ولكنه سمين...]
قالت إيمان: [حمداً الله على سلامتك... كيف تشعر الآن؟!]
لم يكترث لها، بل وجه كلامه إلى آمنة: [آمنة... لما أنتِ هنا يا عزيزتي؟!]
[أريد أن أسألك... لما هذه المحارم معك؟]
[توقعتكِ تعرفين جواب هذا السؤال...]
[هل هي حقاً نفس المحارم يا يوسف؟!]
[أجل... إنها نفسها...]
قال لنفسه: [ليتني أخبرك ما في قلبي يا حبيبتي... ولكنه صعب... صعب...]
[يوسف... سأسألك سؤال آخر، ولكن عليك أن تجب عليه بصدق...]
قال لها: [أنا لا يمكن أن أكذب عليكِ يا عزيزتي... أسألي...]
[ماذا حدث بعد آخر لقاء لنا؟!]
تردد قليلاً، وقال لنفسه: [إذا عرفت بالحقيقة، ربما تكرهني... يا إلهي... ماذا أقول لها؟!]
[ما بك؟! لما لا تجيب...؟!]
[أسمعي، لقد حدث كل هذا بسببكِ أنتِ... سأخبركِ لكني أخاف أن تفهميني خطئاً كما في المرة السابقة]
[لن أفهمك خطأ... أعدك بذلك... هيا أخبرني]
[لا... ستفهميني خطئاً أنا أعرف... وستكرهينني... وأنا أحاول أن أحبب قلبكِ بي...]
نظرت إليه، فشم المحارم من جديد... وقال: [لقد كنتُ أريد نسيانكِ بأي طريقة، فأعطاني صديقي المقرب لي خمراً كي أنساكِ، عرفتُ منذ البداية أنه خمر، ولكنني أعتقدته الدواء الأمثل لنسيانك، فكنت على خطأ... فرجعتُ إلى المنزل وأنا سكران، فطردني أبي... وفي الصباح عرفتُ ما حدث، فحاولتُ الانتحار، وأنا هنا أمامكِ ممداً على السرير... وأخاف من العودة إلى البيت... رغم أني ولدهما الوحيد، وأعرف بما يشعرانه الآن، هذا كل شيء]

www.alkottob.com

قالت لنفسها: [أريد أن أحبك... ولكني غير قادرة على ذلك... فذاك اللعين موجود في قلبي حتى الآن]
ثم قالت صديقتها إيمان: [هل تحب آمنة؟]
نظرا إليها في تعجب، فردت آمنة عليها بصوت لا يسمعه يوسف: [ما الذي تقولينه؟! هل أنتِ مجنونة؟!]
قالت ليوسف: [إنها واقعة في حب شاب آخر]
صرخ يوسف: [ماذاااااااااااا؟!!!!]
[إنها الحقيقة، وهي غير قادرة على نسيانه]
نظرت إليه بقلق، وتكاد أن تبكي، قالت إيمان: [إن كنت تحبها كما تدعي، أعترف لها..]
نظر يوسف إلى آمنة وسألها: [هل هذا صحيح؟!]
خرجت آمنة وهي تبكي، ولحقتها إيمان... صرخ: [انتظري!!]
عرف أن الصراخ لن ينفع، فخلع المغذي من يده، وقاوم الألم ونزل من السرير بسرعة قبل أن تغادر كلياً، تحمل آلامه ليصل إلى الباب بسرعة وهو متكئ على الجدار، فتح الباب وهو يصرخ.
قال: [أنتظري يا آمنة... لم ينتهي كلامي بعد...]
نظر إليه جميع من في الممر، حاول أن يسرع بالمشي وهو متكئ على الجدار، نسي كل آلامه ولم يهتم إلا بآمنة التي تتابع طريقها في الممر.
فصرخ: [أسمعيني...]
فتوقفت، ولكنها لم تلتفت إليه عكس صديقتها، ثم أضاف: [إن كلمات الحب أصبحت رخيصاً جداً بين الشباب في هذه الأيام خصيصاً، ولكني أحبكِ بكل جوارحي... أحبكِ رغم كل الصعوبات... أحبكِ أكثر من نفسي... أحبكِ منذ اللحظة الأولى التي رأيتكِ فيها، فاليشهد الحضور جميعاً...]
أتجهت إليه مجموعة من الأطباء والممرضات، وقال أحدهم: [ماذا تفعل؟! كسورك لم تلتأم بعد...]
حاول أن يلمسه، ولكن يوسف منعه وقال: [أبتعد عني...]
ثم وجه كلامه لها: [أعطيكِ حياتي ليس للصدق، بل من أجلك... فأنتِ عيناي التي أرى بها، وهوائي الذي أتنفس منه... لم يحتمل جسدي فراقكِ لحظة، انظري ما الذي حدث له... لقد دمر بسبب غيبتكِ عنه]
قالت أحدى الممرضات بقلق: [أيها الطبيب، عليك أن تفعل شيئاً...]

www.alkottob.com

قال الطبيب: [أذهبن وأحضرن السرير بسرعة...]
انطلقن الممرضات، وكان الجميع من في الممر ينظر إلى يوسف، الذي قال: [أنتِ حبي الأول والأخير... هذه هي الحقيقة النابعة من قلبي... إنها... الحقيقة... النابعة... من... قلبي...]
فسقط على الأرض مغشياً عليه، ومن ثم اتجهت إليه مسرعة وهي تنادي بأسمه والدموع على خديها: [يوسف!!]
وصل السرير في وقته، وحملوه مباشرة ليفحصوه، ما إذا حدث معه شيء...

كانت هي قلقة وتنوح كأنها تنوح على زوجها... وكانت إيمان تبادلها الشعور ذاته وهما تقفان عند بوابة غرفة العمليات، فهي لم ترى شيئاً كهذا في حياتها من قبل.
قالت لنفسها إيمان: [ياله من حب... يفعل به كل هذا... إنه أمر مخيف حقاً...]
ثم قالت لآمنة: [إن حبه صادق يا آمنة... ليس مثل حب ذلك المحتال... إنه يحبكِ]
[وأنا كذلك... أصبحتُ أحبه بعد أن أعترف لي بكل شيء]
[إنه يقدرك كثيراً... وأنا متأكدة بأنه...]
قاطعها خروج الطبيب، فسألته آمنة عن حاله بسرعة، رد عليها: [الحمد الله لم يحدث شيء... سنعيده إلى غرفته... ولكن يكفي ما حصل اليوم... عودا إلى منزلكما]
قالت إيمان: [سنفعل ذلك الآن... هيا يا آمنة... لنعود... تأخر الوقت...]

وصلت آمنة إلى المنزل ساعة العاشرة، وسألتها أمها عن سبب تأخرها، فقالت أنها تريد أخبارها وأخبار أبيها عن سر يوسف...
وعندما دخلا غرفتها أغلقت الباب وأجلستهما على الأريكة، ثم أخبرتهم القصة منذ البداية حتى النهاية، وأخبرتهما قصة المحارم أيضاً... تعجب صالح من الأمر ولكنه لم يكن سعيداً، فكيف له أن يقبل ويرضى عن كل ما حدث.
سألها: [هل أحد آخر يعرف ذلك؟!]
[كلا... أنا وأنت وأمي وصديقتي إيمان... ويوسف]
قالت أمها: [أمعقول ما يحدث أمامنا؟!]
قالت: [أبي... حاول أن تجد والديه... أرجوك]

www.alkottob.com

[كيف لي أن أعرف أين هما؟!]
قالت: [دع الأمر لي يا أبي... سأكلمه]
قالت أمها: [أبنتي... أعرف أن نواياكِ حسنة، ولكنه شاب غريب و...]
قاطعتها: [هو ليس غريباً... إنه واحد من عائلتنا... لقد زرناه اليوم وكنا سعداء بذلك... مثل ما كنتُ سبب دماره، سأكون سبب عودته إلى الحياة من جديد... ثقا بي]
قال صالح: [لقد كبرتي يا أبنتي العزيزة... أصبحتي ناضجة]
[أنا أبنتك يا أبي... وأنت معلمي الأول]
قالت أمها: [ماذا ستفعلين الآن؟!]
[سننتظر حتى يشفى...]

وبالفعل، لقد شفي مع مرور الوقت بمساعدتها له، وأصبح الآن قادراً على المشي على قدميه بسهولة وبدون أي آلام... وهذا هو آخر يوم له بالمشفى.

><><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الفصل الثاني عشرة:-

في الصباح الباكر.
دخل الطبيب غرفة يوسف وسلم عليه ومن ثم قال له: [هل تعرف منذ متى أنت هنا؟!]
[ربما شهر... أو ثلاثة أسابيع...]
[بل شهران وأسبوع... لقد كنت في غيبوبة طويلة نتيجة الحادث... وقد تكسرت معضم أضلاعك...]
[حسناً... أعتقد أنه حان وقت خروجي من هنا]
[أجل... ستأتي الممرضة بثيابك الآن]
[ولكني لا أعرف أين سأذهب]
[ألا تملك عائلة تقلق عليك؟!]
[بلى... أملك... ولكني سأخرج الآن]
[حسناً، أتمنى أن أراك مرةً أخرى يا يوسف]
أراد الطبيب المغادرة ولكن يوسف قال له: [مهلاً... ولكني لا أملك بطاقتي الصحية]
[لا داعي لتقلق من شيء... فذاك الرجل تكلف بكل شيء...]
خرج الطبيب وأتت الممرضة بثيابه - الكندورة وثيابه الداخلية - ولقد كانت الكندورة ممزقة قليلاً أثر الحادث... وغير ملابسه من فوره... وجاء وقت خروجه من المشفى، ولكن أين سيذهب؟! سؤال حيره قليلاً... عندما فتح باب المصعد رأى صالحاً أمامه.
قال يوسف: [أوه، مرحباً عمي]
قال: [أتيت لآخذك يا بني...]
[ستأخذني إلى أين؟!]
[هيا تعال... لا داعي للسؤال]
نزل معه إلى خارج المستشفى وركب سيارته ومن ثم غادروا المكان... أعتقد يوسف أنه سيأخذه إلى منزله... وفي أثناء قيادته سيارته "ستيشن".
قال له: [أخبرتني أبنتي بكل شيء... كل شيء]
هنا خاف يوسف وأعتقد أنه سيقتله... ولم ينطق بأي كلمة.

www.alkottob.com

ثم أضاف: [الحب ليس حراماً، لقد شعرت بقهر عندما سمعت أنك تحبها... ولكن، هل تستحقها؟!]
لم يكن يوسف يريد التحدث... فقال صالح: [أنت عاقٌ لوالديك... لماذا؟!]
تذكرهما يوسف وتألم لذلك... ولكنه أدرك أن لا مجال للهرب... وعليه العودة لهما... لا يمكنه التحمل أكثر من ذلك... هما يحبانه حتى النخاع... لقد عذبهما كثيراً في حياته... فتذكر والدته التي سهرت الليالي حتى تتأكد أنه في البيت... وتذكر كم كانت تجلس بقربه عندما يمرض... وكم... وكم... وكم... إنها أكمام ليس لها نهاية... فشكرها بعصيانها ورفقة السوء وعدم طاعة الله... ورجع إلى طفولته ليجد والده يضربه لعدم ذهابه إلى المسجد... ولكنه كان سعيداً عندما كان يفاجأه بألعاب كثيرة كان يشتريها له... لأنه ابنه الوحيد... حتى أنه وجد ذاكرة تريه اليوم الذي أهداه له والده هاتفاً نقالاً... وتذكر أيضاً السيارة التي أشتراها له "كامري ٢٠٠٨"... فشكره بالعودة إلى البيت سكراناً... لقد أنزلقت هذه الأحداث في رأسه خلال ثوان قليلة.
قال يوسف لصالح: [أريد العودة لهما... أريد القفز إلى أحضانهما... كم أنا مشتاق لها]
[هما أيضاً...]
قاطعه: [مشتاقين لي... أعرفهما حق المعرفة]
ثم أضاف: [ربما والدتي تنتظرني عند عتبة الباب معتقدة أنني سآتي]
[لماذا لا نذهب إليهما إذن؟!]
[نذهب لهما!!... هل تعني أنك تريد أخذي إليهما؟!]
[أجل يا بني...]
خطرت في باله فكرة ما، فقال: [عمي... أريد الرجوع إليهما لوحدي...]
[ماذا؟!]
[أرجوك... أنزلني عند الشارع]
[ولكن...]
قاطعه: [إن كنت تحبني كولدك نفذ لي هذا الطلب]
غمغم صالح: [أنت ولدي يا يوسف... ولست كولدي... وسألبي لك هذا الطلب]
ابتسم يوسف له وقال: [شكراً لك... أعدك أن أكون عند حسن ظنك]
[ولكن هناك شرط...]

www.alkottob.com

أخذه صالح إلى الحلاق أولاً... ومن ثم إلى الخياط ليشتريا كندورة جاهزة جديدة... ولكن لا يتوفر لدى أي من محلات خياطة كندورة جاهزة بحجم جسده الثخين... لذا قرر صالح أن يفصل له كندور جديدة... (على ذوقه) ودفع له مبلغاً مضاعفاً لينتهي من تفصيله اليوم... ومن ثم دعاه إلى الغداء في منزله.

اتصل بزوجته وأخبرها بالأمر... ولم تصدق ما قال لها زوجها فقفزت مكانها، ومن ثم ركضت إلى المطبخ لتعد طعام الغداء، ولم تخبر أحد بذلك إلا آمنة... فأقسمت بالرب العظيم على أنها هي التي ستطبخ اليوم... وليست أمها، ولكنها راقبتها في كل خطوة تقوم بها... حتى أعترفت أنها قد تصبح أمهر منها في الطبخ يوماً من الأيام... وأذن الظهر... ووصل صالح ويوسف إلى المسجد.
فسأل نفسه: [منذ متى دخلت فيها المسجد؟!... آه تذكرت منذ ثلاث سنوات تقريباً]
فتوضئ ودخل المسجد... ولقد كان ضخماً وزرعت عدة نخلات في ساحته... وأجمل من ذلك تلك الثرية المعلقة في قبته... لقد جذبته كل شيء في هذا المسجد.
همس صالح في أذنه: [هل ستصلي صلاة تحية المسجد؟!]
احتار يوسف... فهو لم يسمع عن شيء يدعى صلاة تحية المسجد، ولكنه رد: [أجل... سأصلي]
فتذكر أن هناك أناس يدخلون المسجد فيصلون ركعتين... ففعل نفس الشيء... ولم يكن يحفظ سوى سور قليلة من جزء عمّة، ولكنه دبر أموره.

ومن ثم وصلوا إلى بيت صالح الكبير ذو المزرعة الصغيرة... قال صالح: [تفضل... فلا تخجل، إنه منزلك]
دخل المنزل ومن ثم جلس على الاريكة الزهرية الجميلة، وكان ديكور المنزل في قمة البهاء.
دخلت عليه آمنة: [السلام عليك... كيف حالك؟!]
شهق بقوة ولم يلاحظ أن والدها موجود معهما: [آمنة...]
عندما أدرك أنه موجود... أضاف: [أوه، أنا بخير... ماذا عنكِ؟]
ضحكت من ارتباكه وقالت: [أنا بخير والحمد الله... أهلاً بك في منزل والدي المتواضع]

www.alkottob.com

[شكراً... أسعدني تواجدي هنا]
فصرخت: [تعالوا بسرعة... إن يوسف هنا]
ركض التوائم تجاهه غير مصدقين بأنه هنا... رحبوا به وسعدوا بتواجده معهم... وكذلك زوجته.

><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الجزء الثالث عشرة والأخير:-

تجمع الجميع عند السفرة (على الأرض) التي فرشتها أم آمنة ومن ثم وضعت الغداء عليها، وكان الغداء عبارة عن سلطات متنوعة رز بالفطر والدجاج، وصلصة حارة، وعصير البرتقال الطازج.
قال محمد: [ماذا ستفعل الآن بعد أن هُزمت؟!]
قال أحمد: [أهزمه في المرة القادمة]
قال حمد: [هل تدربت جيداً لذلك...]
قال يوسف لهم بمرح: [لقد هرب مني... ورجع إلى بلاده]
قالوا: [ماذا؟؟؟ يا له من جبان]
سأل أحمد: [أين هي تلك المحارم؟! لما لا تشمها؟!]
توتر يوسف قليلاً حتى قالت آمنة: [ما بكم؟! هيا ابتعدوا عنه، أنتم تزعجونه]
قالوا بعناد: [كلا لا نريد...]
ضحك يوسف وقال لها: [دعيهم فهم لا يزالون صغاراً...]
وبعد لحظات أتت أم آمنة، جلست وقالت: [هيا مدوا أياديكم...]
كان يوسف يأكل وعينيه معلقة عليها... ولاحظ والدها نظراته... ولم يعجبه الحال... مع أنه يعلم بالقصة.
قال لنفسه: [لقد تمادى... ولكن علي أن أكمل معروفي حتى أن يرجع إلى والديه]
قالت هي لنفسها وهي تنظر إليه: [لم أكن أعلم أنه سيأتي يوم ويحبني شاب مثلك يا يوسف]
قال هو لنفسه: [ما زال الدرب بعيداً إلى قلبكِ... ولكنني لن أستسلم... لا بد أن تكوني لي]
هي لنفسها: [صرتُ أحبه بالفعل... رغم أنه ليس وسيماً... ليس مثل محمد... إن محمد ليس سميناً وطويل القامة ويلفت الانتباه... لكن يوسف تخترقه الانظار...]
هو لنفسه: [كم أنتِ جميلة... أين كنتِ عني تلك الفترة من حياتي؟!... فأنتِ من ينعش دمي ومن ينظف هوائي... وعيني التي ترى... ويداي التي تشد... وكل نبضة ينبضها قلبي تقول أنا أحبك... أحب رائحتكِ... وخصوصاً تلك الصفعة... إنها أجمل ما تلقيتها في حياتي... ولكن!!... كيف للقدر أن يجمعنا سوية؟!...

www.alkottob.com

سبحانك يا الله... لقد أدركتُ الآن كم أنت عظيم... عظيم جداً... وكأنك رأفت بي...]
هي لنفسها: [ولكن محمد لم يقدرني كما قدرتني أنت يا يوسف... ما زلتُ أذكر كيف خرجت من الغرفة رغم كسورك وآلامك كي تعترف بحبك الكبير لي... ما زلتُ أذكرها وكأنها البارحة...]

وبعد صلاة العصر، ذهب كلا من صالح ويوسف إلى الخياط ليأخذا الكندورة الجديدة... ولبسها في الخياط مباشرة... وكان سعيداً جداً... شكر يوسف صالح كثيراً... حتى ظن أنه لن يسكت... ثم أوصله إلى شارع قريته الصغيرة ونزل هناك.
قال يوسف: [عمي... لا تخف... أنا رجل الآن... وأعدك بحسن التصرف...]
ابتسم له صالح وقال: [أنا أثق بك... وإذا أحتجت مساعدتي فاتصل بي... ولا تتردد، انت حافظ رقم هاتفي]
[أجل... أدعوا الله أن أوفق في ذلك]
غادر صالح المكان مباشرة.
قال يوسف وهو ينظر إلى ساعته الجديدة التي أشتراها صالح له: [إنها الخامسة... وأنا أبعد حوالي مئتين متراً عن المنزل... ولكن أولاً...]
اتجه يوسف إلى غابة السمر التي رقد بها في اليوم الذي سكر فيه... ذهب هناك ليبحث عن محفظته وهاتفه النقال اللذان رماهما.
عندما وصل قال: [يا إلهي... مضت فترة طويلة... أنا أذكر أنني رميتها هنا...]
أخذ يبحث عنها حتى وضع رجله على شيء صلب... فحمله وأزال عنه التراب والغبار...
وقال بابتسامة مفعمة بالأمل: [إنه هاتفي... لقد بهت لونه ومدخرته فارغة... ولكن أين محفظتي؟!]
بحث كثيراً، حوالي ربع ساعة، وعثر عليها بالقرب من أحد الأشجار السمر... وقد غطته أوراقها... بعد ذلك اتجه مباشرة إلى منزله، ولكنه مضطر بأن يمر بالقرب من البقالة لكي يصل إلى هناك، وهو يعلم أن هناك مجموعة من الصبية والشباب السيؤن... هو فكر فقط بحمد وسعد... ولكنه لم يكترث واتجه إلى منزله مباشرة، وعندما وصل هناك... نظر إليه بعض من الشباب ومن بينهم سعد وحمد.

www.alkottob.com

صرخ أحدهم: [أنظروا... أليس هذا يوسف؟!]
قال حمد: [أجل إنه هو... إنه هو]
واتجه إليه هو والباقون مباشرة... وكان يوسف يشتعل غيضاً في داخله... فعندما وصل سعد، ضربه بلكمة قوية كادت تخلع سنه...
سأل حمد: [ما بك؟! لماذا ضربته؟!]
رد: [ألا تدري لماذا يا حمد؟ هل نسيت من جعلني أرجع إلى البيت وأنا سكران؟]
واكمل طريقه إلى منزله، ووقف سعد على قدميه، وأخذ يشتمه وتهجم عليه ليضربه، ولكن حمد أوقفه بصعوبة.
وقال له: [أهدأ فأنت تستحق ذلك... فلقد دماديت عندما جعلته يشرب الخمر ذاك الوقت...]
نظر إليه نظرة حاقدة... وقال: [قسماً لأجعلنه يندم على ضربه لي]
قال حمد: [لن تجرأ على أي شيء]
[ماذا؟!]
[إن فكرت بأي شيء يضر يوسف... فسأكون لك بالمرصاد... تذكر كلامي]
وقال آخر: [لن نجعلك تفعل به أي شيء...]
وقال ثانٍ: [كيف تجرأت وأشربته تلك الأشياء القذرة؟! لن تقدر على فعل شيء له... وإنّ سمعنا بأنك فعلت به شيء... فسترى منا ما لا يرضيك]
تشائم سعد، وخاف من تهديداتهم...

وصل إلى منزله أخيراً، ولكنه متردد وقلق... ومرتبك أيضاً... ثم لاحظ أن سيارة والده ليست موجودة، وهذا يعني أنهما خارج المنزل، ولقد تأكد من ذلك عندما حاول فتح الباب... وتذكر أن والده كثيراً ما يصحب والدته معه عندما يخرج... فلم يكن له سوى الانتظار... وانتظر حتى المغرب... ولقد يأس...
قال لنفسه: [لا بد لي من الذهاب إلى المسجد... وأدعوا من الله أن يجمعني معهم اليوم]
وهذا ما حدث... بعد صلاة المغرب... دعى من الله أن يسهل أموره، ورآه أحد الشباب في المسجد، وأستغرب لوجوده هنا... وتعجب أكثر عندما طال يوسف في الدعاء...

www.alkottob.com

وبعدها خرج من المسجد وعاد إلى باب المنزل فرأى أنهما لم يأتيا بعد... انتظر قليلاً حتى لمح ضوء سيارة تقترب من المنزل... فأختبئ خلف الجدار الفاصل بينه وبين المنزل.
قال لنفسه: [يا إلهي!! ماذا أفعل الآن؟!]
راقبهما وهما ينزلان من السيارة، ومن شدة الشوق كاد أن يبكي... ولكنه متردد من الأقتراب منهما... فطلب من الله أن ييسر أمره من جديد... فلاحظ أن أمه تخرج المفاتيح لتفتح الباب، فخرج وهو يناديها... التفتت إليه لتسقط مفاتيح البيت... نظرت في وجهه جيداً... أجل إنه يوسف الذي ترك البيت منذ أيام طويلة... إنه هو نفسه... لم تكن تريد أن تصدق عينيها... حتى نزل والده من السيارة.
قال يوسف والدموع قد بللت لحيته الخفيفة: [أمي... لقد أشتقتُ أليكِ كثيراً...]
فركض إلى أحضانها بسرعة، ولتبكي هي وتسأله: [هل أنت هو يوسف حقاً؟! هل أنت هو ولدي يوسف؟!]
أومأ لها وقبل رأسها ولم يكن يريد التخلي عن ذراعيها التي تحضنه بقوة رغم ضخامة جسده، ومن ثم التفت لوالده الذي لم يصدق هو الآخر أن يوسف قد عاد إليهما.
قال يوسف لوالده وشفتاه ترتجفان: [لقد خيبتُ ظنك بي يا أبي... سامحني على ما فعلتُ بكما...]
وسقط على قدميه ليقبلها بقوة مما أثر على والده كم كان مخطئاً عندما طرده... فرفعه عن الأرض وقبل رأس ولده يوسف بحب وحنان، وهو من دوره دفن وجهه في صدره الواسع.
قال أبوه: [سامحتك يا بني... أنا أعلم أنه خطئي... وليس خطأك... سامحني لطردك بعيداً عنا... كل هذا بسببي أنا... فأنا لم أمنعك من رفقة السوء و...]
قاطعه: [يكفي ذلك... إنها مجرد ذكريات يجب محوها من ذاكرتنا... آآآآآآآآآآه لو تعلم كم كنتُ مشتاق لرائحتك... رائحتك يا أبي أزكى ما شمه أنفي...]
فتحت أم يوسف الباب وبعد أن دخلوا البيت لاحظ يوسف وجود سيارته في ساحة منزلهم الواسعة... ومن ثم دخل إلى غرفته... فتعجب أنها لم تتغير منذ أن تركها... كل شيء في مكانه... حتى السرير لم يكن مرتباً...
قال: [لم يتغير شيء!!]

www.alkottob.com

قال والده: [لم تكن والدتك تريد أن تغير شيء... لعلها كانت تشعر بأنك ستأتي...]
قال: [ولكن يا أبي... لا أعرف ماذا أقول... ولكن الكلية طردتني...]
[لا داعي للقلق... يمكنك أن تلتحق بأي مؤسسة حكومية تعليمية المهم أنك بيننا... كيف لك أن تعلم ما كنا نشعر به بغيابك عنا!!]
قالت والدته: [أخبرنا ما الذي حدث معك منذ ذلك الوقت]
عندما جلسا على الأريكة الزرقاء... أخبرهم يوسف بما حدث له، وكادا أن يصابا بسكتة قلبية عندما أخبرهما عن الحادث... وبعدها أخبرهم عن صالح وزوجته.. والتوأم الثلاث... وأخيراً محبوبته آمنة... وأصر على والدته أن تخطبها له... وبعد لحظات، أذن العشاء، وغادرا هو ووالده إلى المسجد.
وفي أثناء سيرهما، قال يوسف بمرح: [إنها المرة الأولى التي تصحبني فيها إلى المسجد يا أبي...]
[كنت تهرب مني عندما كنت صغيراً... ولم أكن قادراً على مجاراتك]
[أعتذر يا أبي عما بدر مني... لقد عذبتكما كثيراً]
مسك يد والده بحب شديد... فأحس عندها أبو يوسف بأن الزمن رجع إلى الوراء... وكأنه يمسك يد يوسف الصغيرة ويصحبه إلى البيت... ويعاقبه... فابتسم عندها.

><><><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

الخاتمة:-

زارت عائلة أبو يوسف عائلة صالح بعد أن تحسن كل شيء... وكان أبو يوسف وولده يوسف أنيقين لدرجة عالية جداً، وكانوا جميعاً في المجلس.
قال أبو يوسف: [في الحقيقة يا أبا محمد... لقد أتيناكم لنطلب يد أبنتك لولدي يوسف... وأنت تعلم عنا كل شيء على ما أعتقد... فأنت على دراية أن يوسف يدرس الآن في جامعة أمريكية في الشارقة، وأنه الآن يعمل في شركة عقارية... ويمكنه أن يصرف على عائلته... ماذا قلت الآن؟]
[في الحقيقة... أنا لن أسأل عنه لأننا من أقرب الناس إليه... ولكن علي أن أسأل آمنة أولاً...]
[يمكنها أن تخبرنا عن رأيها الآن... إذا أمكنها ذلك]
كانت آمنة تلعب بأصابعها... وهي في الحقيقة سعيدة جداً بهذه المناسبة... وإما عن يوسف، فلقد علق عيناه التي تبدو كالبندق عليها، ولم يزحزحهما عنها منذ فترة... لاحظ والده ذلك... وصالح أيضاً.
قال صالح بابتسامة مرحة: [يبدو أن صاحبنا في عالم آخر...]
بادله أبو يوسف الابتسامة وقال: [يبدو كذلك...]
قالت أم آمنة: [ما رأيكِ يا أبنتي؟]
قالت بخجل شديد: [أنا موافقة يا أبي...]
قال لها: [موافقة هكذا دون أن تأخذي يومين لتفكري؟!]
[ولماذا آخذ يومين؟!... أنا موافقة... ولكن هناك شيء واحد]
قال أبو يوسف: [قولي يا أبنتي...]
[نكمل دراستنا أولاً... ثم نتزوج]
قال والدها: [إنها محقة... يكملان دراستهما ثم يتزوجان]
قال أبو يوسف: [أتفقنا إذن... سيخطبان الآن وبعد أن ينهيان دراستهما يتزوجان]

ومضت الأيام والسنون بسرعة البرق... حتى أتى اليوم الموعود... وكان حفلاً رائعاً جداً... وكان الجميع سعداء وفرحين... ومن ثم غادرا إلى المنزل... فدخلا غرفتهما.
قال يوسف: [أنا متعب... تعبت كثيراً هذا اليوم]

www.alkottob.com

خلع كندورته عنه ومن ثم أضاف: [ما رأيكِ أنتِ؟]
قالت وهي تبدل فستانها بثياب النوم: [بالفعل... لم يكن يوماً عادياً]
جلس على السرير وقال لنفسه: [هذه المرة الألف التي أنام فيها مع فتاة... ففي مراهقتي فعلتُ أشياء كثيرة تغضب رب العالمين... ولكن هذه المرة مختلفة... إنني أفعلها بالحلال... وليس بالحرام كما في السابق... أصبحت آمنة زوجتي الآن... إنها لي وحدي الآن]
ومن ثم نهض وعانقها بقوة... وأستجابت لعناقه.

وفي الصباح... كان يمشي لوحده في مزرعة بيته الذي بناه بعرق جبينه... وهو ممسك بالمحارم البيضاء...
قال: [لقد كنتِ معي حتى النهاية... ولكن لكل شيء نهاية...]
فأخرج ولاعة وأحرقها... وأصبحت رماداً.

مضت السنوات... وكونا أسرة كبيرة... خمسة أولاد، وسبعة بنات...

النـــــــــــهـــــــــايـــــــــــــة

><><><><><><><><><><><><

www.alkottob.com

لقد كانت سفرة بسيطة بين أفكاري... وهذا ما عثرت عليه... أتمنى أن تعجبكم قصتي القصيرة...
وأي تعليق على الكتاب أرجو أن تراسلوني

Dante_uae@hotmail.com
www.nshj.com
www.mexat.com

تم بحمد الله

www.alkottob.com

www.alkottob.com